

المحامي علي حيدر*

عسكرة جهاز التربية الإسرائيلي

مراجعة كتاب: «جيش يربي شعبا: علاقة الجيش بجهاز التربية المدني»، تحرير: نير غزيت ويفيل ليفي. (إصدار الجامعة المفتوحة، ٢٠١٦، ١٨٥ صفحة).

مدخل

يحتل الجهاز العسكري، بشكل عام، والجيش الإسرائيلي بشكل خاص دورا مركزيا وفاعلا في حياة المجتمع اليهودي والدولة في إسرائيل، ولهما إسقاطات كبيرة وخطيرة على حياة الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والعالم أجمع. ومن نافلة القول إن الجيش الإسرائيلي كان وما زال حاضرا وفاعلا في كافة

المواقع ومجالات الحياة في إسرائيل. أجريت منذ عام ١٩٤٨ وحتى الآن العديد من الأبحاث والدراسات حول عسكرة المجتمع والدولة والتربية والاقتصاد والحيز... إلخ، في إسرائيل.

هنالك تداخل كبير بين الجيش وجهاز التربية في إسرائيل، فنلاحظ أحيانا أطفالا يزورون استعراضات عسكرية، وضباطا يلقون محاضرات لطلاب المدارس الابتدائية والثانوية، يدعون لمشاهدة تدريبات عسكرية، ومجموعات من أبناء الشبيبة تتجول في معسكرات الجيش، ورموزا عسكرية تمرر للطلاب من خلال الدروس المدرسية في موضوعات التاريخ والأدب والدين اليهودي^١. شهدت الساحة الإسرائيلية في الآونة الأخيرة أحداثا ومواقف عديدة شكلت نماذج للتقاطع والتداخل بين الجيش من جهة وموضوع التربية وجهاز التربية من جهة أخرى. على سبيل المثال، قام وزير التعليم، نفتالي بينت، من حزب البيت اليهودي، اليميني المتطرف، مؤخرا بمنع

* المحامي علي حيدر، باحث أكاديمي حاصل على اللقب الثاني في الحقوق من جامعة بار ايلان واللقب الثاني في العلوم السياسية من جامعة حيفا.

من وجهة نظر المؤسسات والوكالات التربوية، بما في ذلك المدارس، فإن التعاون مع الجيش مدفوع برغبتهم في المساعدة لتشجيع التجنيد، وفي كثير من الأحيان بتشجيع من وزارة التربية، والرغبة في التأثير على الثقافة الداخلية للجيش (مثل السنة التحضيرية ما قبل الجيش والتي هي في الغالب دينية). في الوقت ذاته، تحصل تغييرات في جهاز التربية الداخلي للجيش، بالأساس من خلال تجنيد الحاخامية العسكرية التي تبغي تربية الجنود العلمانيين، ومن خلال تقوية المضامين الدينية في العملية التربوية داخل الجيش. أثار تكاثر نقاط التماس بين الجيش وجهاز التربية، مخاوف من عسكرة جهاز التربية، في الخطاب العام، بحسب قول المحررين.

الاجتماعية» و«المعهد لتحليل السياسات في الجامعة المفتوحة»، حيث فحص المؤتمر العلاقات بين الجيش وجهاز التربية. وقدم العديد من الأكاديميين والباحثين والمختصين في مجالات علمية وبحثية متنوعة أوراق عمل وأبحاث حول الموضوع.

قدمت الأوراق واستعرضت وجهات نظر تشكل علامات تاريخية، وناقشت مبادرات لبرامج متنوعة تعمل على إعداد الطلاب للجيش، وفحصت كيفية تجنيد الجهاز التربوي من أجل خدمة موضوعات تخص الجيش.

وقد أورد المحرران في مقدمتهما أن ازدياد تدخل الجيش في جهاز التربية المدني بات واضحا في العقد الأخير، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أم غير مباشر، وقد تجلّى ذلك من خلال تجنيد جهاز التربية ودفعه من أجل تقديم قيم عسكرية أخذها الجيش على نفسه. وقد أكد المحرران أن الجيش أخذ على نفسه مسؤولية دور الشريك الفاعل في بلورة وصياغة وتشكيل جهاز التربية. وقد برر الجيش ذلك، بالحاجة إلى تقوية الدافعية للتجنيد والتضحية بالحياة على خلفية التغييرات الحاصلة، بحسبه، في المجتمع في إسرائيل، وبرغبته في التأثير على اتجاهات التدريب المهني، في جهاز التربية، من أجل ضمان توفير قوى بشرية مؤهلة للجيش.

من وجهة نظر المؤسسات والوكالات التربوية، بما في ذلك المدارس، فإن التعاون مع الجيش مدفوع برغبتهم في المساعدة لتشجيع التجنيد، وفي كثير من الأحيان بتشجيع من وزارة التربية، والرغبة في التأثير على الثقافة الداخلية للجيش (مثل السنة التحضيرية ما قبل الجيش والتي هي في الغالب دينية). في الوقت ذاته، تحصل تغييرات في جهاز التربية الداخلي للجيش، بالأساس من خلال تجنيد الحاخامية العسكرية التي تبغي تربية الجنود العلمانيين، ومن خلال تقوية المضامين الدينية

جمعية، «شوبريم شتيكاه» كسر الصمت» من دخول المدارس اليهودية والالتقاء بالطلاب لاطلاعهم على الجرائم التي يقوم بها الجنود ضد الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال.^٢ كما قام الوزير نفسه، بمنع تدريس رواية الكاتبة اليهودية، دوريت ريبنيان، «جدار حي»، والتي تتطرق إلى الممارسات السادية التي يقوم بها الجنود الإسرائيليون معللا ذلك بأنه يجب عدم إدخال قيم معادية للدولة.^٣ بالإضافة إلى ذلك، حصل العديد من المربين على مكافآت مالية من وزارة التربية نتيجة لزيادة عدد الطلاب المنضمين للجيش.

تشير هذه الأحداث والمواقف والقرارات والتصريحات أسئلة مهمة حول عسكرة التربية والتعليم في إسرائيل، كما أنها تشكل موضوعا للبحث والدراسة حول طبيعة العلاقة وأشكالها بين الجيش وجهاز التربية وإمكانيات تحقيقها وتفسيرها ورصد التغييرات والتحويلات التي واجهتها ومن ثم نقدها.

وقد حاول كتاب «جيش يربي شعبا: علاقة الجيش مع جهاز التربية المدني»، تحرير: نير غزيت ويغيل ليفي، الذي نحن بصدد مراجعته في هذا السياق، التعاطي مع جزء من هذه الأسئلة وغيرها. يشمل الكتاب مقدمة أعدها المحرران وخمسة مقالات علمية إضافية.

الدكتور نير غزيت، عضو في الطاقم الأكاديمي لمعهد روبين وأبحاثه تتناول علوم الاجتماع وعلوم الاناسة في الجيش، وبروفسور يجيل ليفي أيضا عضو في الطاقم الأكاديمي في الجامعة المفتوحة ويبحث العلاقات بين: الجيش والمجتمع والسياسة.

نود من خلال هذه المراجعة المقتضبة استعراض الأفكار المركزية في كل واحد من هذه المقالات والتعريف بمؤلفيها ومحاولة نقدها.

من الجدير بالذكر أن الكتاب هو خلاصة ونتاج مؤتمر كان قد عقد في شهر تشرين الأول عام ٢٠١٤ في حرم الجامعة المفتوحة، بمبادرة من «مجموعة الجيش في الجمعية الإسرائيلية للعلوم

في العملية التربوية داخل الجيش. أثار تكاثر نقاط التماس بين الجيش وجهاز التربية، مخاوف من عسكرة جهاز التربية، في الخطاب العام، بحسب قول المحررين.

تحقيقات وأنساق العلاقات بين الجيش الإسرائيلي وجهاز التربية

كتبت المقال الأول في الكتاب، عوفرة بن يشاي، وهي مديرة مشروع التعليم في معهد قيادة المستقبل في إسرائيل، ومركزة أكاديمية لمشروع تطوير القيادة في كلية الإدارة (همخللا لمنهال) كما أنها تدرس في عدد من الكليات وتعكف على إنهاء أطروحة الدكتوراه في جامعة بئر السبع، وعملت في مؤسسات أمنية وعسكرية في السابق. عنوان المقال جاء تحت اسم: «العلاقة بين الجيش والتربية من وجهة نظر الخطاب العسكري في المجلة العسكرية «معروضات»، ١٩٣٩-٢٠٠٦». هذا المقال يشكل قاعدة معلوماتية ومعرفية مهمة لفهم المقالات والدراسات التالية.

تحلل بن يشاي من خلال مقالها، التغييرات التي حصلت على موقف الجيش اتجاه جهاز التربية المدني، تدعي بن يشاي أن الجيش ينظر إلى موضوع التربية كموضوع مركزي من أجل الحصول على شرعية له ولعمله من خلال محاولته توجيه نفسه بحسب التوقعات والقيم التي يحملها مانحو الشرعية في المجتمع، (مراكز القوة في المجتمع) ومن أجل التأسيس لقيم في المجتمع بالشكل الذي يدعم فكرة «المواطن-الجندي».

تميز بن يشاي بين ثلاثة أنماط للجيش عمل بحسبها على مدار السنوات:

١. نمط علاقة مهمين: وقد ميز هذا النمط الجيش منذ سنوات الأربعينيات وحتى سنوات السبعينيات من القرن الماضي، عبر الجيش في هذه الفترة عن مواقف وتوصيات ونقد في كل ما يتعلق بالمضامين والموضوعات والأشكال المدنية الواضحة في التربية، وذلك من أجل التأثير على بلورة جهاز التربية.

٢. نمط وسائطي (ألي): لقد ميز هذا النمط الجيش منذ سنوات السبعينيات حتى سنوات التسعينيات، في إطاره عبر الجيش عن مواقف وتوقعات من أجل ضمان تزويد احتياجاته، وليس من أجل التأثير على بلورة جهاز التربية.

٣. نمط متداخل/ مركب من «نواة مبلورة» تصبو إلى دمج النمطين السابقين، وهذا النمط يميز الجيش منذ سنوات التسعينيات حتى الآن.

تخلص بن يشاي إلى القول إن الجيش يبني القيم المدنية عندما يرى بأنها قيم مهيمنة، ويميل إلى التدخل في جهاز التربية عندما يلاحظ أن هناك انفصالا أيديولوجيا داخل المجتمع.

خطة الجيش الإسرائيلي لتشكيل جهاز التربية في السنوات الأولى لنشوء الدولة

يثبت مقال العاد نئماني (وهو طالب للقب الثالث في قسم التربية في جامعة تل ابيب، تعنى أبحاثه بالعلاقة بين الجيش والتربية) والذي جاء تحت عنوان: «من ساحات المواجهة إلى ساحة التربية المدنية: خطة الجيش لتشكيل جهاز التربية في السنوات الأولى لإسرائيل»، يثبت ويبرهن التمييز والتحقيقات التي وصلت إليها بن يشاي في المقال السابق فيما يخص محاولة الجيش أخذ دور فاعل في بلورة جهاز التربية المدني في السنوات الأولى لنشوء الدولة. يقول نئماني إن تدخل الجيش، نبع في تلك السنوات، من تعامل الجيش مع جودة منخفضة من الجنود، كما أن جزءا من المتجندين كانوا ذوي دافعية منخفضة ولم توجد قوى بشرية مؤهلة في جزء من الوظائف والمواقع. أراد الجيش نتيجة لهذه الأسباب تدخلا رسميا وأحيانا ساحقا في جهاز التربية، وقد سعى إلى منح مهارات عسكرية أساسية لطلاب المدارس الابتدائية، وتدخل في مضامين التعليم في المدارس الثانوية، وطمح حتى إلى التدخل من خلال دمج مضامين عسكرية بالجامعات، ولكن بحسب نئماني، فإن وزارة التربية والثقافة والجامعة العبرية صدوا الجيش. نتيجة لذلك، منذ تلك الفترة وما تلاها، وعلى مدار سنوات طويلة أصبح التدخل المباشر للجيش مقصورا على الإعداد للجيش (مثل الجندي) وبشكل غير مباشر بواسطة جاهزية المؤسسات التربوية دمج مضامين تخدم جهود التجنيد في المجتمع من أجل الجهد الحربي (مثل تعليم التاريخ). من الممكن قراءة عمل نئماني كعمل إيتولوجي (علم العلل والأسباب) الذي يفسر مصادر التدخل غير المباشرة للجيش في جهاز التربية. تدخل وصفه باحثون إسرائيليون عديدون بعسكرة جهاز التعليم والتربية.

من شعب بيني جيشا، لجيش بيني شعبا

من خلال الدراسة الثالثة في الكتاب، للبروفسور يغيل ليفي (وهو عالم اجتماع سياسي، يرأس برنامج الماجستير لتعليم الديمقراطية في الجامعة المفتوحة وتعنى أبحاثه في العلاقات بين الجيش والمجتمع والسياسة) والتي عنوانها: «من شعب بيني جيشا لجيش بيني شعبا» يؤكد ليفي ويدعم التمييز الذي أجرته بن يشاي فيما يتعلق بالتغييرات التي حصلت في نهاية القرن

مركبا رسميا للإعداد للجيش، ولكن بشكل فعلي ونتيجة للقاء بين الطلاب والجنود فهي تندرج في هذا الإطار.

إن «العرضية» والعفوية بحسب هوفمان هي التي تكشف علاقات القوة القائمة في مجال التربية ما قبل الخدمة العسكرية. تشير هذه العلاقات الى بطلان جهاز التربية وبطلان دور المربين مقابل دور الجيش من منطلق تقبل قوته المفضلة كسلطة قيمة وتربوية. تمنح هذه العفوية للقاء غير الرسمي -الذي يسمح للجانبين الاستغناء عن ضرورة تعريف رسمي- للتدخل التربوي للجيش بالظهور كشيء طبيعي للغاية.

استيراد قيم وممارسات من الجيش إلى جهاز التربية باسم العمل التنظيمي

المقال الأخير الذي يختتم هذه المجموعة من المقالات، هو جزء من بحث كبير أجري من قبل كل من بروفيسور ايال بن اريه (عالم في الأنثروبولوجيا، وعمل لأكثر من ٢٦ عاما في قسم علم الاجتماع في الجامعة العبرية، ويدير الآن معهد كنيرت لدراسة علاقات المجتمع، الأمن والسلام) والدكتور ايلان ديان (مستشار تنظيمي ومحاضر في عدد من الجامعات والكليات في إسرائيل) والدكتور هاردي فاسرمان (عالمة اجتماع تنظيمي وعضوة في طاقم الجامعة المفتوحة).

جاء المقال تحت عنوان: «التحقيق هو القيمة المضافة التي أجلبها للإدارة»: استيراد تحقيق سلاح الجو لجهاز التربية في إسرائيل»، ويستعرض عملية استيراد مفهوم ووسيلة «مؤسسة التحقيق»، الذي طور في سلاح الجو وتم تبنيه من قبل طيارين سابقين يشغلون مناصب مدراء مدارس.

يعرض الباحثون صيرورة تبني اجراء التحقيق باسم مبادئ تنظيمية والتي تفهم على أنها ناجحة، مثل التعلم التنظيمي، والتي تتيح بشكل فعلي دخول قيم وطرق عمل عسكرية للمدرسة (بالأساس ما يخص التحسين والنجاحة). يعرض الطيارون «التحقيق» كمورد إداري يضعهم على الأقل مقابل ذواتهم كمن يقترحون بديلا عمليا للإدارة التقليدية، وكمن يحملون بشكل فعلي بشارة إدارية جديدة ديموقراطية ومتقدمة أكثر. يساهم الطيارون -بحسب الباحثين- من خلال ذلك في تطوير هرمية جديدة تضعهم فوق رجال التربية التقليديين. نتيجة لذلك تتم عملية عسكرية خفية لأجزاء من جهاز التربية، وفي هذه المرة ليس من خلال دور فاعل أو غير فاعل يشغله الجيش، ولكن من منطلق استيراد قيم وممارسات من الجيش إلى جهاز التربية.

العشرين، حيث أن الجيش لم يعد يكتفي (بالتوجه السلبي- غير الفاعل)، والذي يترك لجهاز التربية وظيفة تنشئة (الجندي المستقبلي) بل بدأ بتطوير توجه (إيجابي-فاعل) الذي تجلى من خلال دخول مكثف للجيش في جهاز التربية.

يدعي ليفي أن هذا التحول ظهر من خلال التغيرات الحاصلة في نظام المكافأة العسكري الذي يعتمد على إعطاء مقابل للذين يخدمون في الجيش، بطرق متعددة، إزاء «تضحيتهم العسكرية»، وفي الأساس إعطاءهم مقابلا رمزيا. أدى هذا التغيير إلى ابتعاد أبناء الطبقة الوسطى العلمانية عن الجيش. ويضيف ليفي منتقدا الجيش بأنه بدل أن يعتمد على الدولة في ترميم نظام المكافأة العسكرية، اعتمد الجيش، في هذه الظروف، على جهوده، إن تدخل الجيش في التربية توخى منح قيم جديدة لمفهوم التضحية العسكرية، وبهذه الصورة أراد الجيش الحصول بشكل مستقل على موارد رمزية بدلا من جهاز التربية المدني ومؤسسات الدولة المدنية الذين لا يقومون بذلك بصور متناسب واحتياجات الجيش، بحسب وجهة نظره.

ويخلص ليفي إلى أنه من خلال ذلك، يصادر الجيش احتكار تربية جنوده (بالفعل وبالقوة) ممن كانوا مؤتمنين على ذلك من قبل: جهاز التربية المدني وجهاز ضابط التربية الرئيسي. وبجمل أن تدخل الجيش في العملية التربوية يؤدي الى نتيجتين مركبتين فيما يتعلق بالعلاقة بين الجيش وجهاز التربية: عسكرية مجددة لجهاز التربية وإضعاف مسؤولية الجيش لتقوية شرعية نموذج التجنيد من خلال إلقاء المسؤولية على المربين.

الجولات في معسكرات الإبادة النازية كوسيلة لعسكرة التربية

تتجلى مساعي الجيش لأخذ دور فاعل أكثر، منذ نهاية القرن السابق، أيضا من خلال بحث الدكتورة تامي هوفمان (وهي عضو في طاقم قسم التربية في كلية سيمنار هكيبوتسيم (الكيوتسات) وتعمل محاضرة في قسم التربية في جامعة تل ابيب، وتتناول أبحاثها موضوعات ذاكرة الكارثة في الجيش الإسرائيلي وتدخل الجيش في جهاز التربية) الذي حمل عنوان: «اليوم تلميذ، غدا جندي: الجولات لبولندا كحيز تربوي استعدادا للتجنيد». تقوم هوفمان بدراسة وتحليل جولات طلاب المدارس لمعسكرات الإبادة في بولندا، كموقع للإعداد للجيش من خلال اللقاء غير المباشر بين طلاب مدارس ثانوية وبين جنود من الجيش يلتقون في معسكرات الإبادة وفي طقوس لأحياء الذكرى. تقول هوفمان إن الجولة ليست

ليست ظاهرة عسكرية التربية والتعليم في إسرائيل بالجديدة، فهي ترافق الحركة الصهيونية والدولة منذ نشأتها. اتخذت هذه العسكرية اشكالا وأنساقا متعددة في فترات ومراحل مختلفة، كما أنها شهدت تكثيفا أو تقلصا في سياقات سياسية اجتماعية مختلفة. إن المقالات والأبحاث التي عرضت في هذا الكتاب في غاية الأهمية نتيجة لبحثها جدلية العلاقة بين الجانبين ورصدها لمراحل تاريخية معينة وفعاليات وممارسات معينة ومركزة ونتيجة لحدوثها وتجديدها وعلميتها أيضا.

تلخيص

ليست ظاهرة عسكرية التربية والتعليم في إسرائيل بالجديدة، فهي ترافق الحركة الصهيونية والدولة منذ نشأتها. اتخذت هذه العسكرية اشكالا وأنساقا متعددة في فترات ومراحل مختلفة، كما أنها شهدت تكثيفا أو تقلصا في سياقات سياسية اجتماعية مختلفة. إن المقالات والأبحاث التي عرضت في هذا الكتاب في غاية الأهمية نتيجة لبحثها جدلية العلاقة بين الجانبين ورصدها لمراحل تاريخية معينة وفعاليات وممارسات معينة ومركزة ونتيجة لحدوثها وتجديدها وعلميتها أيضا. وبالرغم من أن جميع المقالات تكشف الطرق المتعددة التي يسعى الجيش من خلالها للتأثير على جهاز التربية وتنتقد العسكرية بشكل واضح، إلا أن جميع الكتاب محسوبون على التيار المركزي في السياسة والمجتمع والاكاديمية في إسرائيل، وكان من المتوقع أن تجري عملية كشف أوسع يقوم بها باحثون أكثر راديكالية وتسييسا، وخصوصا أن الأبحاث لم تعالج مسائل الاحتلال والاضطهاد والتعذيب والتهجير التي تعرض ويتعرض لها الشعب الفلسطيني من قبل جيش الاحتلال، فبقي النقاش داخل المجتمع الإسرائيلي.

أضف إلى ذلك، لم يبحث الكتاب بشكل معمق رغبة جهاز التربية في التعاون مع الجيش ومحاولات استرضائه ودعمه بشكل جلي وخصوصا في مراحل الحروب والانتفاضات الخ. فالمسألة ليست مقصورة على رغبة الجيش بالتأثير بل أيضا رغبة جهاز التعليم أحيانا بالخضوع الاختياري والطوعي. ومن الأهمية بمكان، أن جهاز التربية بدأ منذ نهاية القرن الماضي يستوعب من قبل الجيش كجهاز لا يزوده بقوة بشرية مؤهلة ومليئة بالدافعية تلبى احتياجاته، نتيجة لذلك بدأت تتطور انساق تأثير متنوعة- جزء منها رسمي وجزء غير رسمي- مثل الزيارات لبلندا، ومن خلال استيراد مفاهيم عسكرية جديدة وتطبيقها في جهاز التربية.

هذا ما يسميه المحرران «الوجه الجديد لعملية عسكرية التعليم». من الجدير بالذكر أنه كان يمكن التطرق لمفهوم التربية بشكل أوسع وعدم اقتصره على التربية الرسمية والمنهجية بل فحص كيفية تأثير العسكرية أيضا على التعليم اللامنهجي وعلى عملية التجمعة والتوسع وفحص التدخل أيضا في مراحل التعليم المختلفة منذ فترة الطفولة المبكرة وحتى الجامعة وكيفية تدريس بعض الكتب والقصص من التوراة التي تحتوي على مضامين عسكرية. كما أنه كان من الأفضل فحص قضايا الجندر والنسوية والأثنية والدين والتدين وتقاطعاتهما مع جدلية الجيش والتربية في إسرائيل.

كما كان من الممكن بالإضافة إلى البحث الجدي حول الزيارات لبلندا دراسة طقوس «إحياء الذاكرة والبطولة» وطقوس ذكرى جنود الجيش في المدارس في البلاد. كان من الممكن أن تساهم الأبحاث المقارنة أيضا بتزويدنا بمعرفة إضافية ومعرفة أشمل. وكان من المثير فحص تدخل الجيش في عملية التربية لدى اليهود المهاجرين أمثال الأثيوبيين والروس وغيرهم. ولكن لا يمكن إلا القول في نهاية المطاف إن الكتاب يقدم مساهمة في تسليط الضوء على ظاهرة العسكرية ويساهم في تحدي الخطاب العام.

الهوامش

- ٢ انظر كتاب: «العسكرية في التربية» تحرير: حجيت جور، دار بابل (٢٠٠٥، تل ابيب) باللغة العبرية
- ٣ للاطلاع على موقع جمعية «شوبريم شتيكاه - كسر الصمت» يمكن زيارة موقع الجمعية: <http://www.breakingthesilence.org.il>
- ٤ انظر تصريحات وزير التربية نفتالي بينت حول رواية «جدار حي» بالعبرية: <http://news.walla.co.il/item/2920996>